

التحذيرات الإيمانية

مِن

العقبات السبعة الشيطانية



-الطبعة الأولى-

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الكنوز التربوية من علوم أئمة السنة النبوية

٣

التحذيرات الإيمانية

مِن

العقبات السبعة الشيطانية

من درر كلمات الإمام

ابن قيم الجوزية

- رحمه الله -

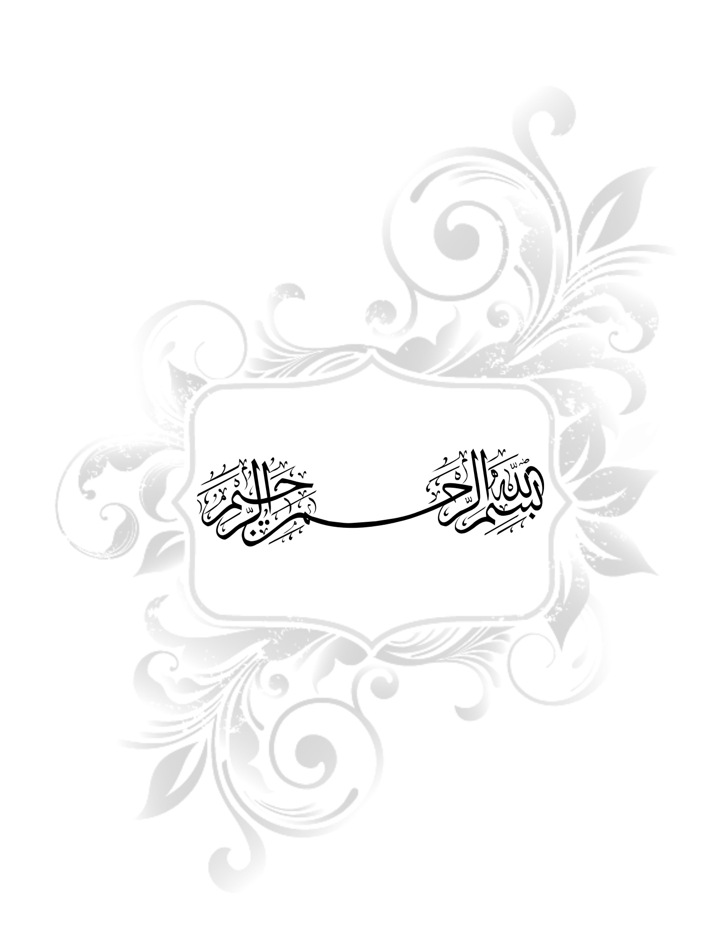
أعدَّه، وضبَطَ نصَّه، وعلَّقَ عليه، وخرَّجَ أحاديثه

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحلبي الأثري

دار الألباني

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَن يَهْدِهِ اللهُ؛ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ-.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا. يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أمـا بعـد:

فإنَّ خيرَ الكَلام كَلامُ الله، وخيرَ الهَـدْيِ هَـدْيُ محمـدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدثاتُها، وكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعة، وكُلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكُلَّ ضَـلالةٍ في النَّار.

وبعـد:

فهذه سِلسلةٌ علميَّةٌ تربويَّةٌ نافِعَةٌ -إنْ شاءَ اللهُ -تعالى-؛ انْتَقَيْتُهـا مِن بُطُونِ مُؤلَّفاتِ أئمَّةِ العِلمِ الربَّانِيِّين، ومُـصنَّفاتِ عُلـماءِ الـشَّريعةِ المَرْضِيِّين؛ مِمَّا فيه الخيرُ والمَنفعَةُ، لِكُلِّ مُطالِعٍ لهـا، ومُنْتَهِـلٍ منهـا -في الدُّنيا والدِّين-.

ولقد سمَّيْتُ هذه (السِّلسِلَةَ) -المُبارَكَة-:

«الكنوز التربوية من علوم أئمة السنة النبوية»

... إشارةً إلى مَضامِينِها، الموصـولةِ بمعـانِي أسـمائِها وعَناوِينِها -والمُوفِّقُ اللهُ- جَلَّ وعَلَا-.

وفَحْوَى هذه (السلسلةِ) -ورُوحُها-: استِلالُ مَباحِـث علميَّـةٍ

مُتكامِلَةٍ؛ تُركِّزُ على الجانِبِ الأخلاقيِّ، والنَّاحِيَةِ التربويَّةِ؛ عَمَلاً -وإعمالاً- لِـمَقصَدٍ أساسٍ مِن مَقاصِدِ شريعتِنا الإسلاميَّةِ العظيمةِ، وهو الأخلاقُ والسُّلُوكُ -تأدُّباً والْتِزاماً-؛ كما قال اللهُ -تعالى- مُبيِّناً مِنَّته -سُبحانَهُ- على خَلْقِهِ:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وعليهِ؛ فالنتيجةُ تابعةٌ للأصلِ؛ كما قالَ -عزَّ وجلَّ-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، وقال -جَلَّ جَلالُهُ-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

قال الإمامُ الواحِديُّ في «الوجيز» (ص٢٠٧):

«.. معنَى (دسَّاها): أخفَى محلَّها، ووضعَ منها، وأخْمَلَها، وخَذَلَها».

مِن أجلِ ذلك؛ كان ذِكْرُ الأخلاقِ، والأمرُ بها مَعدوداً -عند أئمَّة السَّلَف- جُزْءاً مُهِمًّا مِن عقيدتِهم واعتقادِهم؛ يُوصُونَ به، ويَحْرِصُونَ -ويُحَرِّضُون- عليه:

* فقد قالَ شيخُ الإسلامِ أبو إسماعيلَ الصَّابُونِي -المُتَوَفَّى سَنَةَ (٤٤٩هـ)-رَحِمَهُ اللهُ- في كتابِهِ «عقيدة السَّلَف أصحاب الحديث» (ص٩٧-٩٩):

«ويَرَوْنَ المُسارَعَةَ إلى أداءِ الصَّلوات المكتوبات -وإقامتِها في أوائلِ الأوقاتِ- أفضلَ مِن تأخيرِها إلى آخرِ الأوقات.

ويَتَواصَوْنَ بقيامِ اللَّيْلِ للصَّلاةِ بعدَ المَنام، وبِصِلَةِ الأرحام، وإفشاءِ السَّلام، وإطعام الطَّعام، والرَّحمةِ على الفُقَراء والمساكِين والأيتام، والاهتمام بأمورِ المُسلِمِين، والتعفُّف في المأكلِ والمَشْرَبِ، والمَلْبَس والمنكح، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَرِ، والبِدارِ[1] إلى فِعْلِ الخَيراتِ -أجمعَ-».

* وذَكَرَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ- جُملةً مِن الصِّفات الأخلاقيَّةِ المأمورِ بها لأهلِ السُّنَّةِ، مِن ذلك قَولُهُ -رحمةُ الله عليه- في «العقيدة الواسطيَّة» (ص١٧٢-١٧٣ -بشرح الشيخِ الهَرَّاس):

(١) «بالكَسْرِ؛ أي: المُبادَرَة».
«مِرقاة المَفاتيح» (٣/ ٨٦٩) -لِـمُلَّا علي القارِي-.

«يأمُرُونَ بالصَّبْرِ عند البَلاء، والشُّكْرِ عند الرَّخاء، والرِّضا بِمُـرِّ القضاء، ويَدْعُونَ إلى مَكارمِ الأخلاقِ، ومَحاسنِ الأعمال.

ويعتقِدُونَ معنَى قوله ﷺ: «**أكملُ المُؤمنِينَ إيماناً أحسنهُم خُلُقاً**»(١)، ويندُبون أنْ تَصِلَ مَن قَطَعَكَ، وتُعطِيَ مَن حَرَمَكَ، وتَعفُوَ عمّن ظَلَمَكَ(٢)، ويأمُرُونَ بِبرِّ الوالدَين، وصِلَةِ الأرحام، وحُسْنِ الجِوارِ، ويَنْهَوْنَ عن الخُيَلاءِ، والبَغْيِ، والاستِطالة على الخَلْقِ -بحقّ

---

(١) أخرجَهُ أحمدُ (٢/ ٤٧٢)، والترمذيّ (١١٦٢)، وابنُ حِبَّان (٧٤٩)، والآجُرِّيُّ في «الشريعة» (ص١١٥) عن أبي هُريرةَ.

وصحَّحَهُ شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٤).

(٢) كما رواهُ أحمدُ (١٧٣٣٤)، وابنُ وَهْب في «الجامع» (٤٨٦)، والرُّويَانِيُّ (١٥٧)، والطبرانيُّ في «مَكارِمِ الأخلاق» (٥٦)، والبغويُّ في «شَرح السُّنَّة» (٣٤٤٣) عن عُقبَةَ بنِ عامِرٍ، قال: لَقِيتُ رَسولَ الله ﷺ يوماً، فبَدَرْتُهُ، فأخذتُ بيدِهِ - أو: بَدَرَنِي، فأخذَ بيدِي-، فقال: «**يا عُقبة، ألا أُخبِرُكَ بأفضلِ أخلاقِ أهلِ الدُّنيا وأهلِ الآخرةِ؟ تَصِلُ مَن قَطَعَكَ، وتُعطِي مَن حَرَمَكَ، وتَعْفُو عمَّن ظَلَمَكَ. ألا مَن أرادَ أنْ يُمَدَّ له في عُمُرِهِ، ويُبْسَطَ في رِزْقِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ، ولْيَصِلْ ذا رَحِمِهِ**».

وصحَّحَهُ شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «السلسلة الصحيحة» (٨٩١)، و(٢٨٦١).

أو بغيرِ حقّ[١]-، ويأمُرونَ بمَعالِي الأخلاق[٢]، ويَنْهَونَ عـن سَـفاهةِ السُّفهـــاء».

... ومِـن أجـلِ هـذا -كُلِّـهِ- جـاءَ قـولُ النبـيِّ الكـريمِ ﷺ: «**خَصْلَتَان لا تَجتمِعان في مُنافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وفِقهٌ في دين**»[٣]؛ جَمْعاً بينَ الخَيْرَيْن؛ اللَّذَيْنِ لا يكونُ أحدُهُما خَـيراً -حقًّـا!- كـما يُريـدُ اللهُ -تعالى- إلَّا بضميمةِ الآخَرِ إليه.

وفي «الفائِق» (٢/ ١٩٨)- للزَّمَخْشَرِيِّ-: «حُسْنُ السَّمْتِ: أَخْـذُ

---

(١) أين المُتَدَبِّرُونَ لهذا المعنَى الجليلِ -اليومَ-؟!
فحالُ الأكثَرِينَ مُخالَفَتُهُ -واللهُ المُستعانُ-..

(٢) عن سَهْلِ بنِ سَعدٍ، قال: قالَ رسـولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ -عـزَّ وجـلَّ- كريمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، ومَعَالِيَ الأخلاقِ، ويُبْغِضُ سَفْسَافَها**».

رواهُ الحاكِمُ (١٥١)، و(١٥٢)، والطـبرانيُّ في «المُعجَـم الكبـير» (٥٩٢٨)، والخرائطيُّ في «مَكارِمِ الأخلاقِ» (٣)، وأبو نُعَيْم في «حِلْيَةِ الأولياء» (٣/ ٢٥٥)، و(٨/ ١٣٣)، والبيهقـيُّ في «الـسُّنَنِ الكُـبرَى» (٢٠٧٨١)، و«الآداب» (١٥٧)، و«شُعَب الإيمان» (٧٦٤٦).

وصحَّحَهُ شيخُنا في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧٨).

(٣) رواهُ الترمذيُّ (٢٦٨٤)، والعُقَيليُّ في «الضُّعفاء» (٢/ ٢٤)، والهَرَوِيّ في «ذَمّ الكَلام» (٩٣)، وأبو نُعَيْم في «صِفَةِ النِّفاق» (٩٢) عن أبي هُرَيرَةَ.

وصحّحَهُ شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٨).

النَّهْجِ، ولُزُومُ المَحَجَّةِ، ثُمَّ قيلَ لِكُلِّ طريقةٍ ينتهجُها الإنسانُ في تحرِّي الخير، والتَّزَيِّي بِزِيِّ الصَّالِحِين».

وقال المُناوِيُّ في «التيسير» (١/ ٥١٥) -شارِحاً-:

«والمُرادُ: بُلوغُ النِّهاية فيهما؛ بحيث لا يَنْفَكُّ عنهُما، فلا يشملُ مَن فيه بعضُ ذا، وبعضُ ذا».

... فخَلَلٌ جِدٌّ خَطيرٍ -ومُشِين- ذاك **الفَصْلُ الخَطيرُ المُهِين بين الخُلُقِ، والعلم، والدِّين!!**

فما أقبحَ صاحبَ العِلْمِ الذي يُخالِفُ عَمَلُهُ عِلْمَهُ!

وما أقبحَ الخطيبَ (المُفَوَّهَ!) الذي يأمُرُ الناسَ بالمعروفِ ولا يأتِيه! ويَنهاهُم عن المُنكَرِ ويأتِيه!!

.. وبهذه التأصيلاتِ -الوَجيزات- أختِمُ هذه المُقدِّمَةَ النَّافعةَ لهذه (السلسلة) -وما تحوِيهِ مِن رسائلَ مُبارَكات-.

واللهُ -وحدَهُ- يَرزُقُنا وإيَّاكُم -أحسنَ الأخلاقِ، وأجملَها، وأنْبَلَها، وأكْمَلَها.

وأدعُو بدُعاءِ رسولِ الله ﷺ -الذي فيه تذلُّلٌ لـمَولاه، وسَكِينَةٌ إلى أمْرِ الله، وخُضوعٌ بَيْنَ يَدَي ربِّهِ -جلَّ في عُلاه-:

«... اللهمَّ أنتَ المَلِكُ، لا إلهَ إلّا أنتَ، أنتَ رَبِّي، وأنا عَبدُك، ظَلَمْتُ نَفسِي، واعْتَرَفْتُ بذَنْبِي، فاغفِرْ لي ذُنوبِي -جميعاً-؛ إنَّهُ لا يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلّا أنتَ.

وَاهْدِنِي لأحسنِ الأخلاقِ؛ لا يَهدِي لأحسنِها إلّا أنتَ.

واصْرِفْ عنِّي سيِّئَها؛ لا يَصرِفُ عنِّي سيِّئَها إلّا أنتَ.

لَبَّيْكَ وسَعْدَيْك، والخيرُ -كُلُّهُ- في يَدَيْك، والشرُّ ليسَ إليك، أنا بكَ وإليك، تبارَكْتَ وتَعالَيْت، أستغفِرُكَ وأتُوبُ إليك»[1].

فصلواتُ الله وسلامُهُ على نبيِّه المُكرَّم، ورسولِهِ المُعظَّم، أُسوةِ المُؤمنِين وقُدوةِ الصَّالحِين؛ الذي يَقولُ فيه ربُّ العالمَين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

«... فرَحِمَ اللهُ عَبداً استَعانَهُ باتِّباعِ رسولِ الله ﷺ، واقتِصاصِ

---

(١) رواهُ مُسلمٌ (٧٧١) عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ.

أَثَرِهِ، ويَستعيذُهُ -تباركَ وتعالى- مِن شَرِّ نَفسِهِ، ويَسْتَلْهِمُهُ رُشْدَهُ؛ لِقولِهِ-عزَّ وجلَّ-: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه:١٢٣]»[1].

فاللهمَّ اجْعَلْنا منهُم..

ووَفِّقْنا لِسِيَرِهِم..

واسْلُكْنَا في نِظامِهِم...

وأَلْحِقْنا -على الخيرِ- بِهِم..

وبعد:

فهذه هي الرسالةُ الثالثةُ مِن هذه (السِّلسلةِ)-المُبارَكَةِ- إنْ شاءَ اللهُ-؛ وهي بعُنوان:

«التَّحذيراتُ الإيمانيَّة

مِن العَقَباتِ السَّبْعَةِ الشَّيطانِيَّة»[2].

سائلاً ربِّي -سُبحانَهُ- أنْ يَنْفَعَ بِها أكتُبُ، وأن يرزُقَنِي

(١) جُزءُ «رَفْعِ اليَدَيْن» (ص٦) -للإمامِ البُخاريِّ -رَحِمَهُ اللهُ-.
(٢) وهي مُسْتَلَّةٌ مِن «بدائع الفوائد» (٢/ ٨٠٩-٨٢٥).

الإخـلاصَ، والقَبُـولَ، والتوفيـقَ، وحُـسْنَ الخِتـامِ، والوَفـاةَ عـلى الإيمان...

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وبـارَكَ عـلى نبيِّنـا محمـدٍ، وعـلى آلِـهِ وصـحبِهِ -أجمعين-.

وآخِرُ دَعوانَا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَـمِين.

وكتبَ

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد
الحلبي الأثري

عمّان - الأردن

الكُنوزُ التَّربويَّة مِن عُلومِ أئمَّةِ السُّنَّةِ النَّبويَّة



التَّحذيراتُ الإيمانيَّة

مِن

العقباتِ السَّبعةِ الشَّيطانيَّة

من درر كلمات الإمام

ابن قيِّم الجوزيَّة

- رحمه الله -

«بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمدُ لله ربِّ العالمِين، والعاقبةُ للمُتَّقِين، ولا عُدوانَ إلّا على الظّالِمِين.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ -وحدَهُ لا شريكَ لهُ- ربُّ العالَمِين، وإلهُ المُرسَلِين، وقَيُّومُ السَّماواتِ والأرضِين.

وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ، المَبْعُوثُ بالكِتابِ المُبِين، الفارِقُ بَيْنَ الهُدَى والضَّلال، والغَيِّ والرَّشاد، والشَّكِّ واليقين؛ أنْزَلَهُ لِنَقْرَأَهُ تدَبُّراً، ونتأمَّلَهُ تبصُّراً، ونَسْعَدَ به تذكُّراً، ونَحْمِلَهُ على أحسنِ وُجوهِهِ ومَعانِيه، ونُصدِّقَ به، ونَجْتَهِدَ على إقامةِ أوامِرِهِ ونَواهِيهِ، ونَجْتَنِيَ ثِمارَ عُلُومِهِ النَّافعةِ المُوصِلَةِ إلى الله -سُبحانَهُ- مِن أشجارِهِ، ورَياحِينَ الحِكَمِ مِن بَيْنِ رِياضِهِ وأزهارِهِ.

فهو كِتابُهُ الدَّالُّ عليه لِمَنْ أرادَ مَعرِفَتَهُ، وطَريقُهُ المُوْصِلَةُ



لِسالِكِها إليه، ونُورُهُ المُبينُ الذي أشرَقَتْ له الظُّلُمات، ورَحْمَتُهُ المُهداةُ التي بها صلاحُ جميعِ المَخلوقات، والسَّبَبُ الواصِلُ بَيْنَهُ وبَيْنَ عِبادِهِ إذا انْقَطَعَت الأسباب، وبابُهُ الأعظمُ الذي منهُ الدُّخولُ؛ فلا يُغْلَقُ إذا غُلِّقَتِ الأبواب.

وهو الصِّراطُ المُستقيمُ الذي لا تَميلُ بـه الآراء، والذِّكْرُ الحَكِيمُ الذي لا تَزيغُ به الأهواء، والنُّزُلُ الكريمُ الذي لا يَشبعُ منهُ العُلماء؛ لا تَفْنَى عَجائِبُهُ، ولا تُقْلِعُ سَحائِبُهُ، ولا تَنْقَضِي آياتُهُ، ولا تَخْتَلِفُ دِلالاتُهُ(١).

كُلَّما ازْدادَت البَصائرُ فيه تأمُّلاً وتَفكيراً: زادَها هِدايةً وتَبصِيراً،

---

(١) قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميَّةَ في «مجموع الفتاوَى» (١٣/ ٣٣٠):
«وحاجَةُ الأُمَّةِ ماسَّةٌ إلى فَهْمِ القُرآنِ: الذي هو حَبْلُ الله المَتِينُ والذِّكْرُ الحَكِيم، والصِّراطُ المُستقِيم الذي لا تَزيغُ به الأهواءُ، ولا تَلْتَبِسُ به الأَلْسُنُ، ولا يَخْلَقُ عن كَثْرَةِ التَّرْدِيدِ، ولا تَنقَضِي عَجائِبُهُ، ولا يَشْبَعُ منهُ العُلماءُ.
مَن قالَ به صَدَقَ، ومَن عَمِلَ به أُجِرَ، ومَن حَكَمَ به عَدَلَ، ومَن دَعَا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مُستقيمٍ، ومَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ: قَصَمَهُ اللهُ، ومَن ابتغَى الهُدَى في غَيرِهِ: أضلَّهُ اللهُ».

وكُلَّما بَجَسَت مَعينُهُ: فجَّرَ لها يَنابيعَ الحِكْمَةِ تَفجيراً؛ فهُو نُورُ البَصائرِ مِن عَماهَا، وشِفاءُ الصُّدُورِ مِن أدوائِها وجَوَاهَا[١]، وحَياةُ القُلُوبِ، ولَذَّةُ النُّفُوسِ، ورِياضُ القُلُوبِ، وحادِي الأرواحِ إلى بلادِ الأفراحِ، والمُنادِي بالمَساءِ والصَّباح: يا أهلَ الفَلاحِ؛ حيَّ على الفَلاحِ!»[٢]...

أما بعد:

فإنَّ الواجِبَ على كُلِّ مُسلمٍ أنْ يُوَجِّهَ «نَظَرَهُ إلى الآمِرِ بالمعصيةِ، المُزَيِّنِ له فِعْلَها، الحاضِّ له عليها؛ وهو: شيطانُهُ المُوَكَّلُ به.

فيُفيدُهُ النَّظَرُ إليه -ومُلاحَظَتُهُ-: اتِّخاذَهُ عَدُوًّا، وكَمالَ الاحتِرازِ منهُ، والتحفُّظ، واليَقَظَة، والانتِباه لِـمَا يُريدُهُ منهُ عَدُوُّهُ -وهو لا يَشْعُرُ-.

فإنَّهُ يُريدُ أنْ يَظْفَرَ به في عَقَبَةٍ مِن سَبْعِ عَقَباتٍ -بعضُها أصعبُ مِن بعضٍ-، لا يَنْزِلُ منهُ مِن العَقَبةِ السَّابقةِ إلى ما دُونَها إلّا إذا عَجَزَ عن الظَّفَرِ به فيها[٣]:

(١) هو الحُزْنُ، والحُرْقَةُ، وشِدّةُ الوَجْدِ.
«القامُوس المُحِيط» (ص١٢٧).
(٢) مِن مُقدِّمَةِ «مَدارِجِ السَّالِكِين» (١/ ١) -للمُؤلِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ-.
(٣) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «بدائعِ الفوائد» (٢/ ٧٩٩): =

○ **العَقبة الأُولى:**

عَقَبَةُ الكُفْرِ بالله، وبدينِهِ، ولِقائِهِ، وصِفاتِ كَمالِهِ، وما أَخْبَرَتْ به رُسُلُهُ عنهُ؛ فإنَّهُ -إنْ ظَفِرَ به في هـذه العَقَبَـةِ-: بَـرَدَتْ نـارُ عَداوَتِـهِ، واسْتَرَاحَ مَعَهُ[1].

= «ولا يُمْكِنُ حَصْرُ أجناسِ شرِّ [الشَّيطان]؛ فَضْلاً عن آحادِها -إذْ كُلُّ شَرٍّ في العالَمِ فهو السَّبَبُ فيه، ولكنْ؛ يَنْحَصِرُ شرُّهُ في سِتَّة أجناسٍ-؛ لا يـزالُ بـابنِ آدمَ حتّى ينالَ منهُ واحداً منها -أو أكثر-..».

.. ثُمَّ ذَكَرَ (شرّ الكُفْرِ) -وهو الآتِي إيرادُ نـصِّ كلامِـهِ -فيـه- في التعليـق التَّـالِي-.

(١) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٢/ ٧٩٩):

«**الشرُّ الأوَّل**: شرُّ الكُفْرِ والشِّرْك، ومُعاداة الله ورسوله؛ فإذا ظَفِـرَ بـذلك مِن ابنِ آدمَ: بَرَدَ أَنينُهُ، واسْتَراحَ مِن تَعَبِهِ معهُ.

وهو أوَّلُ ما يُريدُهُ مِن العَبْدِ؛ فلا يَزالُ به حتّى ينالَهُ منـهُ؛ فـإذا نـالَ ذلـك منهُ: صَيَّرَهُ مِن جُنْدِهِ، وعَسكَرِهِ، واسْتَنابَهُ عـلى أمثالِـهِ، وأشـكالِهِ؛ فـصارَ مِـن دُعاةِ إبليسَ، ونُوَّابِهِ.

وقال الرُّسْتُمِيُّ في «تنشيطِ الأذهانِ في أُصولِ تفسيرِ القُرآن» (ص٢٠):

«إنَّ مَوضوعَ القُرآنِ الكريمِ إنَّما هو التوحيدُ، والتحذيرُ ممَّا يُضادّه، وهـو: الشِّرْكُ والكُفرُ».

فإنِ اقْتَحَمَ هذه العَقَبَةَ، ونَجَا منها ببَصِيرةِ الهِدايـةِ، وسَـلِمَ مَعَـهُ نُورُ الإيمانِ؛ طَلَبَهُ على:

○ العَقَبَةِ الثَّانِيَة:

وهي: عَقَبَةُ البِدعَةِ[1]:

---

(١) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٧٩٩١):

«فإنْ يَئِسَ منهُ -مِن ذلك-، وكان ممَّن سَبَقَ له الإسلامُ في بَطْنِ أُمِّهِ: نَقَلَـهُ إلى **المرتبةِ الثَّانيةِ مِن الشَّرِّ**، وهي: البدعةُ:

وهي أَحَبُّ إليه مِن الفُسُوقِ والمَعاصِي؛ لأنَّ ضَرَرَها في نَفسِ الدِّينِ -وهو ضَرَرٌ مُتعدٍّ-، وهي ذنبٌ لا يُتابُ منهُ، وهي مُخالِفَةٌ لِدَعْوَةِ الرُّسُـلِ، ودُعـاءٌ إلى خِلافِ ما جاءُوا به.

وهي بابُ الكُفْرِ والشِّرْكِ، فإذا نالَ منهُ البدعةَ -وجَعَلَهُ مِن أهلِهـا- بَقِـيَ -أيضاً- نائِبَهُ، وداعِياً مِن دُعاتِهِ».

قلتُ:

* قولُ المُؤلِّفِ -هُنا-: «وكان ممَّن سَبَقَ له الإسلامُ في بَطْنِ أُمِّه»:

يُشيرُ إلى ما: رواهُ البخاريُّ (٣٢٠٨)، ومُسلمٌ (٢٦٤٣) -والزِّيادة منه-، عن عبدِ الله بنِ مَسعود: حدَّثَنا رسـولُ الله ﷺ -وهـو الـصَّادِقُ المَـصدوقُ-، قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُـونُ عَلَقَـةً مِثْـلَ**=

- إمَّا باعتِقادِ خِلافِ الحقِّ الذي أرْسَلَ اللهُ به رسولَهُ، وأنْزَلَ بـه كتابَهُ -حقًّا-.

=ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ.

فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ [فيَدْخُلُها]، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ [فيَدْخُلُها]».

* وقولُ المُؤلِّف -رَحِمَهُ اللهُ- في (البِدعة)-: «وهي بابُ الكُفْرِ والشِّرْكِ»؛ يُفَسِّرُهُ قولُ شيخِهِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٥٢):

«وَالمَقْصُودُ: أَنَّ أُولَئِكَ المُبْتَدِعَةَ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ لَـمَّا فَتَحُوا (بَابَ القِيَاسِ الفَاسِدِ فِي العَقْلِيَّاتِ، وَالتَّأْوِيلِ الفَاسِدِ فِي السَّمْعِيَّاتِ)؛ صَارَ ذَلِكَ دِهْلِيزًا لِلزَّنَادِقَةِ المُلْحِدِينَ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ -مِنْ السَّفْسَطَةِ فِي العَقْلِيَّاتِ، وَالقَرْمَطَةِ فِي السَّمْعِيَّاتِ-، وَصَارَ كُلُّ مَنْ زَادَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا دَعَاهُ إِلَى مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ؛ حَتَّى انْتَهَى الأَمْرُ بِالقَرَامِطَةِ إِلَى إِبْطَالِ الشَّرَائِعِ المَعْلُومَةِ -كُلِّهَا- كَمَا قَالَ لَهُمْ رَئِيسُهُمْ بِالشَّامِ: قَدْ أَسْقَطْنَا عَنْكُمْ العِبَادَاتِ، فَلَا صَوْمَ، وَلَا صَلَاةَ، وَلَا حَجَّ، وَلَا زَكَاةَ!

وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ: البِدَعُ بَرِيدُ الكُفْرِ، وَالمَعَاصِي بَرِيدُ النِّفَاقِ».

- وإمَّا بالتَّعَبُّدِ بما لمْ يأذَنْ به اللهُ؛ مِن الأوضاعِ، والرُّسُومِ المُحْدَثَةِ في الدِّينِ؛ التي لا يَقْبَلُ اللهُ منها شيئاً.

والبِدعَتَانِ -في الغالِبِ- مُتَلازِمَتَانِ، قَلَّ أنْ تَنْفَكَّ إحداهُما عنِ الأُخرَى؛ كما قال بعضُهُم: تَزَوَّجَتْ بدعةُ الأقوالِ بِبِدْعَةِ الأعمالِ، فاشْتَغَلَ الزَّوجانِ بالعُرْسِ، فلَمْ يَفْجَأْهُم إلَّا وأولادُ الزِّنَى[1] يَعِيشُونَ في بِلادِ الإسلامِ، تَضِجُّ منهُم العِبادُ والبِلادُ إلى الله -تعالى-.

وقال شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ-[2]: تَزَوَّجَتِ الحقيقةُ الكافرةُ بالبِدْعَةِ الفاجِرَةِ، فتَوَلَّدَ بينهُما: خُسرانُ الدُّنيا والآخرة.

فإنْ قَطَعَ العبدُ هذه العَقَبَةَ، وخَلَصَ مِنها بِنُورِ السُّنَّةِ، واعْتَصَمَ منها بحقيقةِ المُتابعةِ، وما مَضَى عليهِ السَّلَفُ الأخيارُ -مِن الصَّحابةِ والتَّابعِينَ لهم بإحسانٍ -وهَيهاتَ أنْ تَسْمَحَ الأعصارُ المُتأخِّرَةُ بواحدٍ مِن هذا الضَّرْبِ[3]!-؛ فإنْ سَمَحَت به: نَصَبَ له أهلُ البِدَعِ الحَبائلَ،

---

(١) يَقصِدُ المُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أنَّهُم أولادٌ غيرُ شرعيِّين! نتيجةَ هذه العَلاقةِ الباطلةِ!! فلا يُثْمِرُونَ إلَّا الضَّلالَ والإضلالَ!!!

(٢) هو شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ.

(٣) فكيف بِـ(الأعصارِ المُتأخِّرَةِ) -أيَّامَنا-؟!

وبَغَوْهُ الغَوائلَ(١)، وقالُوا: مُبتدِعٌ مُحدِثٌ(٢)!

فإذا وَفَّقَهُ اللهُ لِقَطْعِ هذه العَقَبَةِ؛ طَلَبَهُ على:

○ **العَقبة الثالثة:**

وهي عَقَبَةُ الكَبائرِ(٣)؛ فإنْ ظَفِرَ به فيها؛ زَيَّنَها لهُ، وحسَّنَها في

(١) هي الدَّواهِي، ومُفرَدُها: غائلة.

(٢) لأنَّهُ شبَّ عن طَوْقِهِم! وخالَفَ مَألوفَهُم! وخَرَجَ عن تحزُّبِهِم!

كُلُّ ذلك بالحقِّ إلى الحقِّ؛ إرضاءً للمَلِكِ الحقِّ -سُبحانَهُ-.

وما أشبَهَ اللَّيلةَ بالبارحةِ!

(٣) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٢/ ٧٩٩-٨٠٠):

«فإنْ أعجَزَهُ مِن هذه المرتبةِ -وكان العبدُ ممَّن سَبَقَتْ له مِن الله موهبةُ السُّنَّةِ، ومُعاداةُ أهل البِدَعِ والضَّلالِ- نَقَلَهُ إلى **المرتبةِ الثالثةِ مِن الشَّرِّ**؛ وهي:

الكبائرُ -على اختلافِ أنواعِها-؛ فهو أشدُّ حِرْصاً على أنْ يُوقِعَهُ فيها، ولا سِيَّما إنْ كان عالِماً مَتبوعاً؛ فهو حريصٌ على ذلك؛ لِيُنَفِّرَ الناسَ عنهُ، ثُمَّ يُشِيعَ مِن ذُنوبِهِ ومَعاصِيهِ في النّاسِ، ويَسْتَنِيبَ منهُم مَن يُشيعُها ويُذِيعُها -تديُّناً وتقرُّباً -بِزَعْمِهِ!- إلى الله -تعالى-، وهو نائبُ إبليسَ ولا يَشعُرُ؛ فـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:١٩]- هذا إذا أحبُّوا إشاعتَها وإذاعتَها-؛ فكيفَ إذا تَوَلَّوْا (هُم) إشاعَتَها، وإذاعتَها؛ لا نصيحةً=

عينِهِ، وسَوَّفَ به[١]، وفَتَحَ له بابَ الإرجاءِ[٢]، وأنَّ الإيمانَ هو نَفْسُ

=منهُم، ولكنْ؛ طاعةً لإبليسَ، ونِيابةً عنهُ؟!

كُلُّ ذلك لِيُنَفِّرَ الناسَ عنهُ، وعن الانتفاعِ به.

وذُنوبُ هذا -ولو بَلَغَتْ عَنَانَ السَّماء -أَهْوَنُ عندَ الله مِن ذُنوبِ هؤلاءِ؛ فإنَّها ظُلْمٌ منهُ لِنَفْسِهِ، إذا اسْتَغْفَرَ اللهَ، وتابَ إليه: قَبِلَ اللهُ تَوبَتَهُ، وبدَّلَ سيِّئاتِهِ حَسَنَاتٍ.

وأمَّا ذُنوبُ أولئك: فظُلْمٌ للمُؤمنِينَ، وتَتَبُّعٌ لِعَوْرَتِهم، وقَصْدٌ لِفضيحتِهِم.

واللهُ -سُبحانَهُ- بالمِرصاد؛ لا تَخْفَى عليه كَمائنُ الصُّدُورِ، ودَسائسُ النُّفُوس».

(١) **سوفَ** أفعلُ كذا! وأترُكُ كذا! وانتظِرْ كَذا! وأُخالِفُ كذا!!

روَى أبو نُعَيْم في «الحِلْيَة» (٦/ ٥٤) عن أبي الجَلْد، قال: «وجدتُ التسويفَ جُنْداً مِن جُنودِ إبليسَ؛ قد أهلكَ خَلْقاً مِن خَلْقِ الله كثيراً».

وفي «الحِلية» (١٠/ ١٢٢) عن السَّرِيِّ، قال: «مَن استعملَ التسويفَ: طالَتْ حَسرتُهُ يومَ القيامةِ».

(٢) المُرادُ: (الإرجاء!) البدعيُّ العقائديُّ الضالُّ -وكلُّه كذلك-، والمُرْجِئَةُ يَقولونَ: بأنَّ الإيمانَ عَمَلٌ قَلبيٌّ مَحْضٌ؛ لا صِلَةَ لأعمالِ الجوارحِ به!

فلا يَزِيدُ ولا يَنْقُصُ بها -وُجوداً وعَدَماً-!!

وكُلُّ ذلك ضَلالٌ في ضَلالٍ... =

التَّصديقِ[١]، فلا تَقْدَحُ فيه الأعمالُ!

ورُبَّما أَجْرَى على لِسانِهِ وأُذُنِهِ كَلِمَةً طالَمَا أَهْلَكَ بها الخَلْقَ؛ وهي قولُهُ: لا يَضُرُّ مع التَّوحيدِ ذَنْبٌ! كما لا يَنْفَعُ مع الشِّرْكِ حَسَنَةٌ[٢]!!

والظَّفَرُ به في عَقَبَةِ البِدْعَةِ أحبُّ إليه؛ لِـمُناقَضَتِها الدِّينَ، ودَفْعِها لِـمَا بَعَثَ اللهُ به رسولَهُ.

وصاحبُها لا يَتوبُ مِنها، ولا يَرْجِعُ عنها[٣]، بل يَدْعُو الخَلْقَ إليها.

= وانظُر في نَسْفِ هذه الأفكار، وكَشْفِ ما يُخالِفُها مِن أقوالِ عُلمائِنا الكِبار: كِتابي «التعريف والتَّنبِئَة؛ بتأصيلات الإمامِ الألبانيِّ في مسائلِ الإيمانِ، والردِّ على المُرجِئَة» -وهو مَطبوعٌ مِراراً-.

ولكنَّ (الإرجاءَ) غَدَا -اليومَ- عند (بعض!) المنحرفين- تُهَمَةً يَرمِي بها كثيراً مِن المُتَسَنِّنَةِ المُهتدِين!

... كُلُّ ذلك بأَوْهَى الشُّبُهات! وأَوْهَن الاتِّهامات!!

(١) أي: العمل القلبي المَحْض!

(٢) وهي مِن أفسدِ العقائدِ! وأخبثِ الكَلِمات!!

وانظُر -لِنَقْدِها-: «سِيَر أعلام النُّبَلاء» (٥/ ٢٣٥) -للإمامِ الذهبيِّ-.

(٣) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ -شيخُ مُؤلِّفِنا- في «أمراض القُلوبِ=

ولِتَضَمُّنِها القولَ على الله بِلا عِلْمٍ، ومُعاداةَ صَريحِ السُّنَّةِ، ومُعاداةَ أهلِها، والاجتِهادَ على إطفاءِ نُورِ السُّنَّةِ، وتَوْلِيَةَ مَن عَزَلَهُ اللهُ ورسولُهُ، وعَزْلَ مَن ولَّاهُ، واعتبارَ ما رَدَّهُ اللهُ ورسولُهُ، وردَّ ما اعْتَبَرَهُ، ومُوالاةَ مَن عاداهُ، ومُعاداةَ مَن والاهُ، وإثباتَ ما نَفاهُ، ونَفْيَ ما أَثْبَتَهُ، وتكذيبَ الصَّادِقِ، وتصديقَ الكاذِبِ، ومُعارضَةَ الحقِّ بالباطِلِ، وقَلْبَ الحقائقِ؛ بجَعْلِ الحقِّ باطِلاً، والباطِلِ حقًّا، والإلحادَ في دينِ الله، وتَعمِيَةَ الحقِّ على القُلوبِ، وطَلَبَ العِوَجِ لِصراطِ الله

=وشِفاؤُها» (ص٣٨):

«ومعنَى قولِهم: (أنَّ البِدْعَةَ لا يُتابُ مِنها): أنَّ المُبتدِعَ الذي يَتَّخِذُ دِيناً -لمْ يشرعْهُ اللهُ ورَسُولُهُ- قد ﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾؛ فهو لا يتوبُ ما دامَ يَراهُ حَسَناً؛ لأنَّ أوّلَ التَّوبةِ العِلمُ بأنَّ فِعلَه سَيِّئ؛ لِيَتوبَ منهُ، أو أَنَّهُ تَرَكَ حَسَناً مأموراً به أمرَ إيجابٍ، أو أمرَ استحبابٍ؛ لِيتوبَ ويفعلَه!

فما دامَ يَرَى فِعْلَهُ حَسَناً -وهو سَيِّئ في نفس الأمر-؛ فإنّه لا يتوبُ.

ولكنَّ التوبةَ مُمْكِنَةٌ وواقعةٌ بأنْ يهديَه اللهُ ويُرشِدَه؛ حتّى يتبيَّن له الحقُّ؛ كما هَدَى -سُبحانهُ وتعالى- مَن هَدَى مِن الكُفَّارِ، والمنافقِينَ، وطوائفِ أهلِ البِدَعِ والضَّلَالِ.

وهذا يكونُ بأنْ يَتَّبِعَ مِن الحقِّ ما عَلِمَهُ».

المُستقِيم: فُتِحَ بابُ تبديلِ الدِّينِ -جُملةً-.

فإنَّ البِدَعَ يُسْتَدْرَجُ بصغيرِها إلى كبيرِها[١]؛ حتّى يَنسَلِخَ صاحبُها مِن الدِّين كما تُسَلُّ[٢] الشَّعْرُ مِن العَجِينِ.

فمفاسدُ البِدَعِ لا يَقِفُ عليها إلّا أربابُ البَصائرِ، والعُميان ضالُّون -في ظُلْمَةِ العَمَى-: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النور:٤٠].

- فإنْ قَطَعَ هذه العقبةَ -بعصمةٍ مِن الله، أو بتوبةٍ نَصُوحٍ تُنْجِيهِ منها-؛ طَلَبَهُ على:

○ العقبةِ الرَّابعة:

وهي عقبةُ الصَّغائر[٣].

---

(١) قال الإمامُ البَرْبَهاريُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «شَرح السُّنَّة» (برَقْم: ٧-بتحقيقي): «احْذَر صغارَ المُحدَثاتِ مِن الأُمورِ؛ فإنَّ صغير البِدَعِ يَعودُ حتَّى يَصيرَ كَبيراً».

(٢) تُخْرَجُ.

وانظُر «زَهْر الأكَم في الأمثالِ والحِكَم» (٣/ ١٨٣) -لليُوسيِّ-.

(٣) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٢/ ٨٠٠-٨٠١): =

فكالَ له منها بالقُفْزان[١]، وقال: ما عليكَ إذا اجْتَنَبْتَ الكبائرَ ما غَشِيْتَ مِن اللَّمَم[٢]!

= «فإنْ أَعْجَزَ الشيطانَ عن هذه المرتبةِ، نَقَلَهُ إلى **المرتبةِ الرَّابعة** وهي: **الصَّغائر**؛ التي إذا اجْتَمَعَت، فرُبَّما أهْلَكَت صاحِبَها...

ولا يزالُ [الشَّيطانُ] يُسَهِّلُ عليه أمْرَ الصَّغائرِ؛ حتّى يَستهينَ بها، فيكونَ صاحبُ الكَبيرةِ الخائفُ منها أحسنَ حالاً منهُ».

(١) مُفردُها (قَفِيز)؛ وهو: «مِكيالٌ، وهو -أيضاً-: مِقدارٌ مِن مساحةِ الأرضِ» -كما في «العَيْن» (٥/ ٩٢) -للخَليلِ بنِ أحمد-.

ومِقدارُهُ: مِئةٌ وأربعةٌ وأربعونَ ذِراعاً -كما في «المُحكَم والمُحيط الأعظم» (٦/ ٢٦٠) -لابنِ سِيدَهْ-.

وانظُر حَدَّهُ -مِكيالاً- في «المُطْلِع» (ص٢٥٨) -للبَعْلِيِّ-.

والمقصودُ: أنَّ الشيطانَ الرَّجيمَ وسَّعَ له الخُطَى في المعاصي، وأوْقَعَهُ -بسبَبِها- في الفِتَنِ -مِن باب تهوين شأنِها-.

(٢) هي المذكورةُ في قولِ الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[النجم:٣٢]:

قالَ البَغَوِيُّ في «شَرح السُّنَّةِ» (١٤/ ٣٨٧): «وهو أنْ يُلِمَّ بالذَّنْبِ، ثُمَّ لا يُعَدِّدُهُ».

وانظُر تفصيلَ المُؤلِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ- في معنَى (اللَّمَم) -ناقِلاً قولَ البغويِّ=

أوَما عَلِمْتَ بأنَّها تُكفَّرُ باجْتِنابِ الكَبائرِ، وبالحَسَناتِ؟!

ولا يَزالُ يُهَوِّنُ عليهِ أمْرَها؛ حتّى يُصِرَّ عليها، فيكونَ مُرتكِبُ الكَبيرةِ الخائفُ الوَجِلُ النَّادِمُ أحسنَ حالاً مِنهُ؛ فإنَّ الإصرارَ على الذَّنْبِ أقْبَحُ مِنهُ، و«لا كبيرةَ مع التَّوبةِ والاستِغفارِ، ولا صَغيرةَ مع الإصرار»[1].

=-في «المَدارِج» (١/ ٣٢٣-٣٢٥).

ومِن أجملِ ما قالَهُ -رَحِمَهُ اللهُ- ثَمَّةَ-:

«وليس معنَى الآيةِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[النجم:٣٢]: بِأنَّهُم لا يجتنِبُونَهُ! فإنَّ هذا يكونُ ثَناءً عليهِم بتَرْكِ اجتِنابِ اللَّمَم!

وهذا مُحالٌ، وإنَّما هذا استِثناءٌ مِن مَضمونِ الكَلامِ ومَعناهُ؛ فإنَّ سِياقَ الكَلامِ في تقسيمِ النَّاسِ إلى مُحسِنٍ ومُسيءٍ، وأنَّ اللهَ يَجْزِي هذا بإساءتِهِ، وهذا بإحسانِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ المُحسِنِينَ، ووَصَفَهُم بأنَّهُم ﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾، ومَضمونُ هذا: أنَّهُ لا يكونُ مُحسِناً مَجْزِيًّا بإحسانِهِ، ناجِياً مِن عذابِ الله؛ إلّا مَن اجْتَنَبَ ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾.

فحَسُنَ -حينئذٍ- استِثناءُ اللَّمَمِ، وإنْ لمْ يَدخُلْ في الكبائرِ، فإنَّهُ داخِلٌ في جِنْسِ الإثمِ والفَواحشِ».

(١) رواهُ اللَّالَكائيُّ في «شَرح أُصول الاعتِقاد» (١٩١٩)، والطبريُّ في=

وقد قالَ ﷺ: «**إيَّاكُم ومُحَقَّراتِ الذُّنوبِ**».

ثُمَّ ضَرَبَ لذلك مَثَلاً بـ: «**قَومٍ نَزَلُوا بِفَلاةٍ مِن الأرضِ، فأعْوَزَهُم الحَطَبُ، فجَعَلَ يَجِيءُ هذا بُعودٍ، وهذا بِعُودٍ؛ حتَّى جَمَعُوا**

=«جامِع البيان» (٩٢٠٧)، والبيهقيُّ في «شُعَب الإيمان» (٦٨٨٢) عن ابنِ عبَّاسٍ -مَوقوفاً-.

وسندُهُ صحيحٌ -كما قالَ ابنُ مُفلِح في «الآداب الشرعيَّة» (١/ ٢٨)-.

ورُوِيَ عنهُ -رضيَ اللهُ عنهُ- مَرفوعاً-:

رَواهُ القُضاعِيُّ في «مُسندِ الشِّهابِ» (٨٥٣)، وابنُ أبي الدُّنيا في «التَّوبة» (١٧٣)!

قال الذهبيُّ في «الميزان» (٤/ ٥٣٧):

«خَبَرٌ مُنكَرٌ».

نَعَم؛ في البابِ مَرفوعاتٌ أُخرَى -عن صَحابةٍ آخَرين-؛ انظُرْها -ونَقْدَها- في «تَبْيِيضِ الصّحيفَة بأُصولِ الأحاديثِ الضعيفَة» (١/ ١٤١-١٤٥) -للأخ الشَّيخ محمد عمرو عبد اللَّطيف -رَحِمَهُ اللهُ-.

ووَرَدَ في «مُختصَر الفتاوَى المِصريَّة» (ص٥٧٦) لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ، عَزْوه لـ(التِّرْمِذِيِّ)!

وهو إمَّا وَهمٌ! أو تحريفٌ!!

وانظُر «الدَّاء والدَّواء» (ص١٩٢-١٩٥) -للمُؤلِّفِ- بتحقيقِي-.



حَطَباً كَثيراً، فوَقَدُوهُ ناراً، وأَنْضَجُوا خُبْزَتَهُم؛ فكذلكَ شأنُ مُحَقَّـراتِ الذُّنُوبِ، تَجْتَمِعُ على العبدِ -وهو يستهينُ بشأنِها-؛ حتّى تُهْلِكَهُ»[١].

- فإنْ نَجَا مِن هذه العقبةِ -بـالتَّحَرُّزِ، والـتحفُّظِ، ودَوامِ التَّوبـةِ والاستِغفارِ، وإِتْباعِ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ-؛ طَلَبَهُ على:

○ العَقَبة الخامسة:

وهي عَقَبَةُ المُباحَاتِ[٢] **التي لا حَرَجَ على فاعِلِها!**

---

(١) رواهُ أحمـدُ (٢٢٨٠٢)، والرُّويـانِيُّ (٢/ ٢١٦)، والطَّـبرانيُّ في «الصَّغير» (٩٠٤)، و«الأوسَط» (٧٣٢٣)، و«الكبير» (٥٨٧٢) عن سَهْل بـنِ سَـعْد.

وقال الذهبيُّ في «مَعجَم الشُّيوخ» (٢/ ٣٧٠): «وإسنادُهُ صالحٌ».

وحسَّنَهُ ابنُ حَجَر في «الفَتْح» (١١/ ٣٢٩).

وصحَّحَهُ شيخُنا في «السلسلة الصحيحة» (٣١٠٢).

(٢) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٢/ ٨٠١):

«فإنْ أعْجَزَهُ العبدُ مِن هذه المرتبةِ، نَقَلَهُ إلى **المرتبةِ الخامسةِ**، وهـي إشـغالُهُ **بالمُباحاتِ**؛ التي لا ثَوابَ فيها ولا عِقاب، بل عِقابُها فَواتُ الثَّواب الذي ضـاعَ عليه باشتغالِهِ بها».

فشَغَلَهُ بها عـنِ الاستِكثارِ مِـن الطَّاعـاتِ، وعـنِ الاجتهـادِ في التَّزَوُّدِ لِـمَعادِهِ!

ثُمَّ طَمِعَ فيه أنْ يَسْتَدْرِجَهُ منها إلى تَرْكِ السُّنَنِ، ثُمَّ مِن تَرْكِ السُّنَنِ إلى تَرْكِ الواجِباتِ...

وأقلُّ ما يَنالُ منهُ: تَفويتُهُ الأرباحَ، والمَكاسِبَ العظيمةَ، والمَنازِلَ العالــيةَ!

ولو عَرَفَ السِّعْرَ(١)؛ لَـمَا فَوَّتَ عـلى نَفْـسِهِ شـيئاً مِـن القُرُبـاتِ، ولكنَّهُ جاهِلٌ بالسِّعْرِ!!

فإنْ نَجَا مِن هذه العقبةِ -ببَصيرةٍ تامَّةٍ، ونُورٍ هادٍ، ومَعرفةٍ بِقَـدْرِ الطَّاعاتِ، والاستِكثارِ منهـا، وقِلَّـةِ المُقـامِ عـلى المِينـاء(٢)، وخَطَـرِ(٣) التِّجارةِ، وكَرَمِ المُشترِي، وقَدْرِ ما يُعَوِّضُ به التُّجَّارُ- فبَخِلَ بأوقاتِهِ، وضَنَّ بأنفاسِهِ أنْ تَذهبَ في غيرِ رِبْحٍ-؛ طَلَبَهُ العَدُوُّ على:

---

(١) أي: الأجر العظيم، والثَّواب الجزيل على هـذه القُرُبـات، والأعـمالِ الصَّالحات...

(٢) أي: بالانتِظار.

(٣) أهمِّيَّتها.



○ **العَقبة السادسة:**

وهي عَقَبَةُ الأعمالِ المَرجوحةِ المَفضولةِ -مِن الطَّاعاتِ[1]-؛

(١) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٢/ ٨٠١-٨٠٢):

«فإنْ أعْجَزَهُ العبدُ مِن هذه المرتبةِ -وكان حافِظاً لِوَقْتِهِ، شَحيحاً به، يَعلَمُ مِقدارَ أنْفاسِهِ، وانْقِطاعَها، وما يُقابِلُها مِن النَّعِيمِ والعَذابِ-؛ نَقَلَهُ إلى **المرتبةِ السَّادسةِ**.

وهو: أنْ يَشْغَلَهُ **بالعملِ المَفضولِ عمّا هو أفضلُ منهُ**؛ لِيُزيحَ عنهُ الفضيلةَ، ويُفَوِّتَهُ ثَوابَ العَمَلِ الفاضِلِ، فيأمُرَهُ بِفِعْلِ الخَيْرِ المَفضولِ، ويَحُضَّهُ عليه، ويُحَسِّنَهُ له- إذا تضمَّنَ تَرْكَ ما هو أفضلُ وأعْلَى منه-!

وقَلَّ مَن يَتَنَبَّهُ لهذا مِن النَّاسِ؛ فإنَّهُ إذا رَأَى فيه داعِياً قويًّا، ومُحَرِّكاً إلى نوعٍ مِن الطَّاعةِ: لا يَشُكُّ أنَّهُ طاعةٌ وقُرْبَةٌ؛ فإنَّهُ لا يكادُ يَقولُ: إنَّ هذا الدَّاعِيَ مِن الشَّيطانِ! فإنَّ الشَّيطانَ لا يأمُرُ بخيرٍ!

ويَرَى أنَّ هذا خيرٌ، فيقولُ: هذا الدَّاعِي مِن الله!!

وهو مَعذُورٌ! ولمْ يَصِلْ عِلْمُهُ إلى أنَّ الشَّيطانَ يأمُرُهُ بسَبْعِينَ باباً مِن أبوابِ الخَيرِ؛ إمَّا لِيَتَوَصَّلَ بها إلى بابٍ واحدٍ مِن الشَّرِّ! وإمّا لِيُفَوِّتَ بها خيراً أعظمَ مِن تلكَ السَّبْعِينَ باباً -وأجلَّ وأفضلَ-!!

وهذا لا يُتَوَصَّلُ إلى معرفتِهِ إلّا بِنُورٍ مِن الله، يَقذِفُهُ في قَلْبِ العَبْدِ، يكونُ سَبَبُهُ تَجريدَ مُتابعةِ الرَّسُولِ ﷺ، وشِدَّةَ عِنايتِهِ بمراتِبِ الأعمالِ عندَ الله،=

فأمَرَهُ بها، وحسَّنَها في عينِهِ، وزَيَّنَها لـه، وأَراهُ مـا فيهـا مِـن الفَـضْلِ والرِّبْحِ؛ لِيَشْغَلَهُ بها عمَّا هو أفضلُ مِنها، وأعظمُ كَـسباً ورِبحـاً؛ لأَنَّـهُ لـمَّا عَجَزَ عن تَخسِيرِهِ أصلَ الثَّوابِ؛ طَمِعَ في تخسيرِهِ كمالَهُ، وفَـضْلَهُ، ودَرجاتِهِ العاليةَ، فَشَغَلَهُ بالمفضولِ عـن الفاضِـلِ، وبـالمَرجوحِ عـن

=وأحبِّها إليه، وأرضاها لـه، وأنْفَعِهـا للعَبْـدِ، وأعمِّهـا نَـصيحةً لله -تعـالى-، ولِرَسُولِهِ، ولِكتابِهِ، ولِعبادِهِ المُؤمنِينَ -خاصَّتِهم وعامَّتِهم-.

ولا يَعرفُ هذا إلّا مَـن كـان مِـن وَرَثَـةِ الرَّسُـولِ ﷺ، ونُوَّابِـهِ في الأُمَّـةِ، وخُلَفَائِهِ في الأرضِ.

وأكثرُ الخَلْقِ مَحْجُوبُونَ عن ذلك، فلا يَخطُرُ بقُلوبِهِم».

قلتُ:

وكلامُ المُؤلِّفِ -الأخـيرُ- المَنقـولُ -هُنـا- في الحاشـيةِ-: فيـه إشـارةٌ إلى حديثِ: «**الدِّين النَّصيحة**...»، الذي رواهُ مُسلمٌ (٩٥) (٥٥) عن تَميمٍ الدَّارِيِّ -رضيَ اللهُ عنهُ-.

وقَولُهُ -أيضاً-: «إنَّ الشيطانَ يأمُرُهُ بسبعِينَ باباً مِن أبوابِ الخيرِ...»:

أخرجَ معناهُ أبو نُعَيْم في «حِليَة الأوليـاء» (٧/ ٣٣١)، ومِـن طريقِـهِ ابـنُ الجَـوزيِّ في «تلبـيس إبلـيس» (ص٣٧) عـن الحسنِ بـنِ صـالحٍ، قـال: «إنَّ الشيطانَ لَيَفْتَحُ للعبدِ تِسعةً وتِسعينَ باباً مِن الخَيرِ؛ يُريدُ به باباً مِن السُّوء».

واللهُ -تعالى- يَمُنُّ بفَضْلِهِ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ.

الرَّاجِحِ، وبالمَحبُوبِ لله عن الأحبِّ إليه، وبالمَرْضِيِّ عن الأرْضَى له.

ولكنْ؛ أينَ أصحابُ هذه العَقَبةِ؟!

فهُمُ الأفرادُ في العالَـمِ، والأكثَرُونَ قد ظَفِرَ بهِم في العَقَباتِ الأُوَلِ(١)!

فإنْ نَجَا منها؛ فبِفِقْهٍ(٢) في الأعمالِ ومَراتِبِها -عندَ الله-، ومَنازِلِها في الفضلِ، ومعرفةِ مَقاديرِها، والتَّمْييزِ بينَ عالِيها وسافِلِها، ومَفضولِها وفاضلِها، ورَئيسِها ومَرؤوسِها، وسيِّدِها ومَسودِها.

فإنَّ في الأعمالِ والأقوالِ سيِّداً ومَسوداً، ورئيساً ومَرؤوساً، وذُرْوَةً -وما دُونَها-؛ كما في الحديثِ الصَّحيحِ: «**سيِّدُ الاستِغفارِ أنْ تَقولَ: اللهمَّ! أنْتَ ربِّي، لا إلهَ إلّا أنتَ**...» الحديث(٣)، وفي الحديثِ الآخرِ: «**إنَّ الجِهادَ ذُرْوَةُ سَنامِ الأَمْرِ**»(٤)، وفي أَثَرٍ آخَرَ: «إنَّ الأعمالَ

---

(١) يَعْنِي: أنَّ الشيطانَ أوْقَعَ أغْلَبَ النّاسَ في العَقَباتِ الأُولَى -السابقةِ- الأصعبِ، والأشدِّ-؛ بحيث لا يكادُ يُوجدُ أحدٌ (منهُم) نَجَى (منها)، ووَصَلَ إلى هذه-الأقَلِّ-.

(٢) في (الأصل): بفقهٍ! ولعلَّ الصَّوابَ ما أَثْبَتُّ -واللهُ أعلمُ-.

(٣) رَواهُ البخاريُّ (٦٣٠٦)، و(٦٣٢٣) عن شدّادِ بنِ أَوْس.

(٤) رواهُ أحمدُ (٢٢٠١٧)، والطَّيالسيُّ (٥٦١)، وعبدُ بنُ حُمَيْدٍ (١١٢)،=

تَفاخَرَتْ، فَذَكَرَ كُلُّ عَمَلٍ منها مَرْتَبَتَهُ وفَضْلَهُ، وكان للصَّدَقَةِ مِزْيَةٌ في الفَخْرِ عليهِنَّ»[1].

ولا يَقْطَعُ هذه العقبةَ إلّا أهلُ البَصائرِ مِن أُولِي العِلْمِ السَّائِرِينَ على جادَّةِ التَّوفيقِ؛ قد أَنْزَلُوا الأعمالَ مَنازِلَها، وأعْطَوْا كُلَّ ذِي حقٍّ حقَّهُ.

=وابنُ ماجه (٣٩٧٢)، والترمذيُّ (٢٦١٦)، والنَّسائيُّ في «الكُبرَى» (١١٣٣٠) مِن طُرُقٍ عن مُعاذ بنِ جَبَلٍ.

وقد صحَّحَهُ شيخُنا في «الإرواء» (٤١٣)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١١٢٢).

وقال الحافظُ ابنُ رَجَب: «إسنادُهُ حَسَنٌ».

نَقَلَهُ عنهُ -وأقرَّهُ- العلّامةُ شمسُ الدِّين السَّفَّارِينيُّ في كِتابِهِ المُفيدِ النّافعِ «غِذاء الألباب» (١/ ٦٧).

(١) روَى ابنُ خُزَيْمَة (٢٤٣٣)، والحاكِمُ (١/ ٤١٦)، وإسحاق -كما في «المَطالِب العالية» (٩٥٢) -، والإسماعيليُّ في «مُسندِ عُمَرَ» -كما في «جَلاءِ الأفهامِ» (ص١٣٩) -للمُصَنِّفِ-، عن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ، قال: «ذُكِرَ لي أنَّ الأعمالَ تَتَباهَى، فتقولُ الصَّدَقَةُ: أنا أفضلُكُم».

وسَنَدُهُ ضَعيفٌ -كما في تعليقِ شيخِنا على «صحيح ابنِ خُزَيْمَة»-.

وصحَّحَهُ في «صحيح التَّرغيب» (١/ ٣٦٩).

والأوَّل -**عندِي**- أرجَحُ.

- فإذا نَجَا مِنها؛ لمْ يَبْقَ هُناك عَقَبَةٌ يَطْلُبُهُ العدوُّ عليها سِوَى واحدةٍ! لا بُدَّ منها! ولو نَجَا منها أَحَدٌ؛ لنَجَا مِنها رُسُلُ الله، وأنبياؤُهُ، وأكرمُ الخَلْقِ عليه، وهي:

○ [**العقبة السابعة**]:

عَقَبَةُ تَسليطِ جُنْدِهِ عليه[١] بأنواعِ الأذَى؛ باليدِ، واللِّسان، والقَلْب -على حَسْبِ مَرتبَتِهِ في الخَيْرِ-؛ فكُلَّما عَلَتْ مَرتَبَتُهُ؛ أجْلَبَ عليه العَدُوُّ بِخَيْلِهِ، ورَجِلِهِ[٢]، وظاهَرَ عليه بجُنْدِهِ، وسَلَّطَ عليه حِزْبَهُ وأهْلَهُ بأنواعِ التَّسليطِ.

---

(١) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٢/ ٨٠٢):

«فإذا أعْجَزَهُ العبدُ مِن هذه المراتِبِ السِّتِّ، وأعْيَى عليه: **سَلَّطَ عليه حِزْبَهُ مِن الإنسِ، والجِنِّ**: بأنواعِ الأذَى، والتَّكفيرِ له، والتَّضليلِ، والتَّبديعِ، والتَّحذيرِ منه، وقَصْدِ إخْمالِهِ، وإطفائِهِ: لِيُشَوِّشَ عليه قَلبَهُ، ويَشْغَلَ بحربِهِ فِكْرَهُ، وليمنعَ النّاسَ مِن الانتفاعِ به؛ فيَبْقَى سَعْيُهُ في تَسْلِيطِ المُبطِلِينَ -مِن شياطِينِ الإنسِ والجِنِّ- عليه، لا يَفْتُرُ ولا يَنِي!

فحينئذٍ؛ يَلبَسُ المُؤمنُ لَأْمَةَ الحَرْبِ، ولا يضَعُها عنهُ إلى المَوْتِ، ومتَى وَضَعَها أُسِرَ، أو أُصيبَ، فلا يزالُ في جِهادٍ حتّى يَلقَى اللهَ».

و(**لَأْمَةُ الحَرْب**)؛ هي: ما يَقِي بها المُحارِبُ نَفسَهُ -كالدِّرْعِ-.

(٢) أي: الرَّاكِب، والماشِي.

وهذه العَقَبةُ لا حِيلَـةَ لـه في الـتَّخَلُّصِ منهـا؛ فإنَّـهُ كُلَّـما جَـدَّ في الاستِقامةِ، والدَّعوةِ إلى الله -تعالى-، والقيامِ له بأمْرِهِ؛ جَدَّ العَدُوُّ في إغراءِ السُّفَهاءِ[١] به.

فهو في هذه العقَبَةِ قد لَبِسَ لَأْمَةَ الحَرْبِ، وأخَذَ في مُحارَبَةِ العَـدُوِّ لله، وبالله.

فعُبُودِيَّتُهُ فيها عُبودِيَّةُ خَواصِّ العارِفِين، وهـي تُـسَمَّى: عُبودِيَّـةَ المُراغَمَةِ[٢].

ولا يَنْتَبِهُ لها إلّا أُولُو البَصائرِ التامَّةِ.

ولا شَيْءَ أحبُّ إلى الله مِن مُراغَمَةِ وَلِيِّهِ لِعَدُوِّهِ، وإغاظَتِهِ له.

وقد أشارَ -سُبحانَهُ وتعالى- إلى هذه العُبُودِيَّـةِ في مواضِـعَ مِـن كتـــابِهِ:

أحدُهَا: قولُهُ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠]:

---

(١) نَعَم؛ السُّفَهاء!
ومَن وَراءَهُم! ومَن أمامَهُم!!

(٢) هي المُقاومة والقَهْر.

وسمَّى المُهاجَرَ الذي يُهاجَرُ إليه عِبادةً لله: مُرَاغَماً؛ لأنَّهُ يُراغِمُ به عَدُوَّ الله وعَدُوَّهُ.

واللهُ يُحِبُّ مِن وَلِيِّهِ مُراغَمَةَ عَدُوِّهِ، وإغاظَتَهُ.

كما قال -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة:١٢٠].

وقال -تعالى- في مَثَلِ رسولِ الله ﷺ، وأتْباعِهِ-: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[الفتح:٢٩]:

فمُغايَظَةُ الكُفَّارِ غايةٌ محبوبةٌ للرَّبِّ، مَطلُوبَةٌ لـه؛ فمُوافقَتُـهُ فيهـا مِن كَمالِ العُبودِيَّةِ.

وشَرَعَ(١) النبيُّ للمُصَلِّي -إذا سَهَا في الصَّلاة- سَجْدَتَيْن، وقـال:

---

(١) والأوضحُ لو قال -رَحِمَهُ اللهُ-: «أوجَب».

فالصَّواب: «وُجوبُ سجود السَّهْو» -كما قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة في «مجموع الفتاوَى» (٢٣/ ٣١)-.

«**إنْ كانَت صلاتُهُ تامَّةً؛ كانَتَا تُرْغِمانِ أنْفَ الشَّيطان**»[١].

وفي رِوايةٍ: «**تَرغيماً للشَّيطانِ**»[٢].

وسمَّاهُما: المُرغِمَتَيْنِ[٣].

فمَن تَعَبَّدَ اللهَ بمُراغَمَةِ عَدُوِّهِ؛ فقد أخَذَ مِن الصِّدِّيقِيَّةِ بسَهْمٍ وافِرٍ.

وعلى قَدْرِ مَحَبَّةِ العبدِ لِرَبِّهِ، ومُوالاتِهِ له، ومُعاداتِهِ لِعَدُوِّهِ: يكونُ نَصيبُهُ مِن هذه المُراغَمَةِ.

ولِأَجْلِ هذه المُراغَمَةِ حُمِدَ التَّبَخْتُرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ[٤]، والخُيَلَاءُ

---

(١) رَواهُ أحمدُ (١١٧٩٤)، وابنُ خُزَيْمَةَ (١٠٢٤)، وابنُ الجارود في «المُنتَقَى» (٢٤١)، وابنُ أبي شَيْبَةَ (٤٤٠٣) عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ.

وانظُر «إرواء الغليل» (٤١١) -لشيخِنا الإمام -رَحِمَهُ اللهُ-.

(٢) رواهُ مُسلمٌ (٥٧١) عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ.

(فائدةٌ): رَواهُ ابنُ ماجَه (١٢١٠) بلفظ: «.. **وكانَت السَّجْدَتان رُغْمَ أنفِ الشَّيطان**».

(٣) رواهُ أبو داود (١٠٢٥)، وابنُ خُزَيْمَةَ (١٠٦٣)، وابنُ حِبَّان (٢٦٥٥)، والحاكِمُ (٩٦٢)، والضِّياءُ في «المُختارَة» (١٤٥) عن ابنِ عَبَّاسٍ.

وصحَّحَهُ -لغيرِهِ- شيخُنا في «صحيحِ سُنَنِ ابنِ داود» (٩٤٠-الأصل).

(٤) يَعْنِي: في الجِهادِ، والقِتالِ. =

= وقد رَوَى أحمدُ (٢٣٧٤٨)، وأبو داود (٢٦٥٩)، والنَّسائيُّ في «الصُّغرَى» (٢٥٥٨)، و«الكُبرَى» (٢٣٥٠)، وابنُ حِبَّان (٤٧٦٢) عن جابرِ ابنِ عَتِيك، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ مِن الغَيرَةِ: ما يُحِبُّ اللهُ -عزَّ وجلَّ-، ومِنها ما يُبْغِضُ اللهُ -عزَّ وجلَّ-، ومِن الخُيَلاء: ما يُحِبُّ اللهُ -عزَّ وجلَّ-، ومِنها ما يُبْغِضُ اللهُ -عزَّ وجلَّ-:**

فأمَّا الغَيْرَةُ التي يُحِبُّ اللهُ -عزَّ وجلَّ-: فالغَيْرَةُ في الرِّيبَةِ.

وأمّا الغَيْرَةُ التي يُبْغِضُ اللهُ -عزَّ وجلَّ-: فالغَيْرَةُ في غيرِ رِيبَةٍ.

والاختِيالُ الذي يُحِبُّ اللهُ -عزَّ وجلَّ-: اختِيالُ الرَّجُلِ بنَفْسِهِ -عندَ القِتالِ، وعِندَ الصَّدَقَةِ-.

والاختِيالُ الذي يُبْغِضُ اللهُ -عزَّ وجلَّ-: الخُيَلاءُ في الباطِلِ».

ورواهُ الطَّحاوِيُّ في «مُشكِلِ الآثار» (٤٥٧٦)، ثُمَّ قالَ -عَقِبَهُ-:

«فَتَأَمَّلْنَا هَذَا الحَدِيثَ؛ فَوَجَدْنَا فِيهِ أَنَّ الخُيَلَاءَ الَّتِي يُحِبُّهَا الله اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّدَقَةِ -وَعِنْدَ القِتَالِ-؛ فَكَانَ اخْتِيَالُهُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ القِتَالِ مَعْقُولًا المُرَادُ بِهِ مَا هُوَ، وَأَنَّهُ مِمَّا يُرْعِبُ بِهِ عَدُوَّهُ الَّذِي حَضَرَ لِقِتَالِهِ، وَمِمَّا يَزِيدُ مِن اقْتِدَارِهِ عَلَيْهِ، وَقِلَّةِ اكْتِرَاثِهِ بِهِ.

وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ -فِي الخُيَلَاءِ عِنْدَ القِتَالِ-: كَانَ مِثْلَهُ الخُيَلَاءُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ؛ لِأَنَّ المُتَصَدِّقَ يُعَارِضُهُ الشَّيْطَانُ، فَيُلْقِي فِي قَلْبِهِ نَقْصَ مَالِهِ بِالصَّدَقَةِ=

والتَّبَخْتُر عندَ صَدَقَةِ السِّرِّ؛ حيثُ لا يراهُ إلّا اللهُ -تعالى-؛ لِما في ذلكَ مِن إرغامِ العَدُوِّ، وبَذْلِ محْبُوبِهِ مِن نَفْسِهِ ومالِهِ لله-عزَّ وجلَّ-.

وهذا بابٌ مِن العُبودِيَّةِ؛ لا يَعْرِفُهُ، ولا يَسْلُكُهُ إلّا القَلِيلُ مِن النَّاسِ(١)، ومَن ذاقَ لَذَّتَهُ وطَعْمَهُ: بَكَى على أيَّامِهِ الأُوَل.

=الَّتِي يُحَاوِلُهَا، وَيُخَوِّفُهُ الفَقْرَ إِذَا كَانَتْ مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة:٢٦٨]-.

وَكَانَ إِذَا اخْتَالَ عِنْدَ صَدَقَتِهِ -لِيُرِيَ بِذَلِكَ شَيْطَانَهُ قِلَّةَ اكْتِرَاثِهِ- فِيمَا يُلْقِيهِ فِي قَلْبِهِ مِمَّا يَمْنَعُهُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ-؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُصَغِّرُ شَيْطَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَمِمَّا يَهِمُّ صَاحِبُ ذَلِكَ المَالِ بِمَا يَفْعَلُهُ فِيهِ -مِمَّا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله -عَزَّ وَجَلَّ- قَاهِرًا لَهُ فِيهِ.

فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ -فِي الصَّدَقَةِ- نَظِيرَ مَا يَكُونُ مِنَ المُقَاتِلِ فِي الاخْتِيَالِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِيهِ عِنْدَهُ، وَيَكُونُ حَمْدُهُ عَلَى ذَلِكَ كَحَمْدِ المُخْتَالِ عِنْدَ القِتَالِ فِي اخْتِيَالِهِ، -وَالله المُوَفِّقُ-».

(١) واللهُ -تعالى- يقولُ -مُمْتَدِحاً-: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣].

وفي «تفسيرِ يَحْيَى بنِ سَلَّام» (٢/ ٧٥١): «أي: أقلُّ النّاسِ: المُؤمِنُ».

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ في «الكشَّاف» (١/ ١١٨):

«أهل الهُدَى كثيرٌ في أنفُسِهِم، وحينَ يُوصَفُونَ بالقِلَّةِ إنَّما يُوصَفُونَ بها=

وبالله المُستعانُ، وعليهِ التُّكْلانُ.

ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله.

وصاحبُ هذا المَقامِ، إذا نَظَرَ إلى الشَّيطانِ، ولاحَظَهُ في الذَّنْبِ؛ راغَمَهُ بالتَّوبةِ النَّصُوحِ، فأَحْدَثَتْ له هذه المُراغَمةُ عُبوديَّةً أُخرَى.

... فهذه نُبْذَةٌ مِن بعضِ لطائفِ أسرارِ التَّوبةِ[1]؛ لا تَستَهِنْ بها؛ فلعلَّكَ لا تَظْفَرُ بها في مُصنَّفٍ آخَرَ -أَلْبَتَّةَ-.

=بالقِياسِ إلى أهلِ الضَّلالِ، وأيضاً؛ فإنَّ القليلَ مِن المَهدِيِّين كَثيرٌ -في الحقيقةِ-، وإنْ قَلُّوا في الصُّورةِ...».

(١) قال المُؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في «البدائع» (٢/ ٨٠٢):

«فتأمَّلْ هذا الفَصْلَ، وتدبَّرْ مَوقِعَهُ، وعظيمَ مَنفعتِهِ، واجْعَلْهُ مِيزاناً لكَ تَزِنُ به النّاسَ، وتَزِنُ به الأعمالَ؛ فإنَّهُ يُطْلِعُكَ على حَقائقِ الوُجودِ، ومَراتِبِ الخَلْقِ.

واللهُ المُستعانُ، وعليه التُّكلان.

ولو لمْ يكُنْ في هذا التعليقِ إلّا هذا الفصلُ؛ لَكانَ نافِعاً لِمَن تَدَبَّرَهُ، ووَعاهُ».

ولله الحمدُ والمِنَّةُ، وبهِ التَّوفيقُ[1].



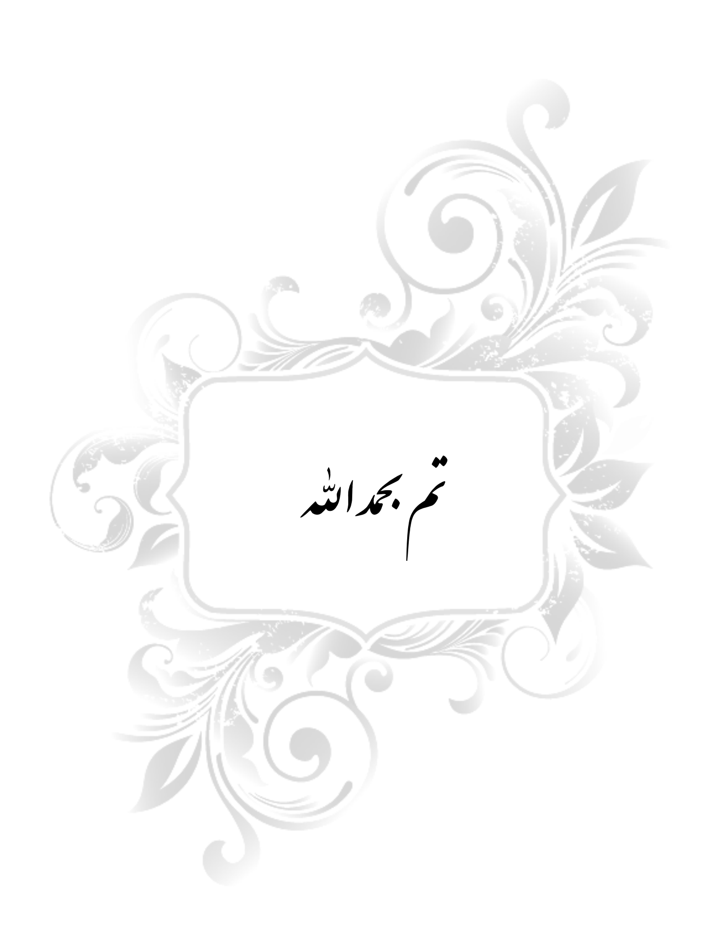
(١) تَمَّ الفَراغُ مِن التَّعليقِ عليه، وضَبْطِ نَصِّهِ، وتخريجِهِ: في مجلِسٍ واحدٍ مِن بعدِ صَلاةِ الفَجْرِ -إلى أذانِ الظُّهْرِ- مِن يومِ الخَميسِ: ١٤ - ربيع الأوَّل- ١٤٣٢هـ/ عمّان - الأُردُنّ.

والحمدُ لله أوَّلاً وآخِراً، وظاهِراً وباطِناً.

ولهُ المِنَّةُ والفَضْلُ -سُبحانَهُ-.

... ثُمَّ راجعْتُهُ، وأمْعَنْتُ النَّظَرَ فيه -أكثرَ- في مجالِسَ -آخِرُها-: عَصْرَ يومِ الأحد: (٢٤/ ربيع الأوَّل/ ١٤٣٢هـ).

فهرس المحتويات


تم بحمد اللہ